"تعرّف إلى ذاكرتك" لجوزف مجدلاني

العقل مختبر الإنسان والذاكرة صلته بالمعرفة

بقي قول سقراط "اعرف نفسك" في نطاق الفلسفة النظرية طوال قرنين ونيف فكرا ملهما ثم اضحى دعوة وحافزا للانطلاق في الاسرار والمعارف الماجعة في اعماق الذات. لكن كيف يكون الانطلاق؟ وما هي الطريقة لسبر اغوار هذه الاسرار و"نكش" خفايا النفس؟ كي لا يكون الجواب نظريا ايضا، تُقدم علوم الإيزوتيريك تقنية "اعرف نفسك" في شكل منهجي منسق ومتكامل، من خلال كتبها الثمانية والعشرين، فضلا عن محاضراتها الاسبوعية ومنهجها الدراسي.

بغية التفسير والتوسّع في قول افلاطون "المعرفة تذكّر، وتحويل من الحيز النظري الى التطبيق العملي الحياتي، قدمت منشورات اصدقاء المعرفة البيضاء في بيروت كتابا عنوانه "تعرف الى ذاكرتك"، في ٦٤ صفحة من القطع الوسط، من تأليف الدكتور جوزف مجدلاني، ويندرج في خانة الايزوتيريك، كاشفا اسرار الذاكرة وطرق تطويرها. يُظهر الكتاب ان للذاكرة علاقة مباشرة بالوعي، كونها بعدا من ابعاده او جزءا من اجزائه، "بل هي القسم المتفتح والناشط والمنظم من الوعي، اي القسم المكثف تركيزا منه. لأنها مقدرة على الاحتواء، احتواء المعلومات والمعارف – كما هو الوعي". بذلك تكون الذاكرة "القسم الاكثر وعيا في الجزء الواعي من الكيان البشري. لأنها مقدرة الوعي نفسه على الامتداد عبر الزمن. فالوعي الذي يتخطى حدود الزمان يصبح ذاكرة خارقة".

قد يتساءل بعض القراء الذين لم تتسن لهم فرصة الاطلاع على علوم باطن الانسان (الايزوتيريك) كيف تكون للذاكرة اهمية كبرى في تطور الوعي، لكنهم يستطيعون ان يراقبوا انعكاس هذه الحقيقة في الامور الحياتية المختلفة. اليس التاريخ نفسه، وهو ذاكرة الحوادث، المرجع الاهم لتقويم وعي الشعوب؟ اليست ملفات الشركات ومحفوظاتها (وهي ذاكرتها) العنصر الاساسي في عملياتها؟ فكيف بالحري ذاكرة الانسان؟ تلك التي لا تقتصر على المعلومات المادية البديهية بل على الخبرات الانسانية التي يتشرب الوعي خلاصتها. من هنا يوضح الكتاب ان "العقل هو المختبر، المعرفة مادة الاختبار، الوعي حصيلة الاختبار". اذن، كون الذاكرة سجلا للاختبارات، يجعلها في منتهى الاهمية للربط والمقارنة بغية تطوير حصيلة الاختبارات. وتلك الحاجة الى الربط والمقارنة بين الحوادث الماضية والحاضرة وجدت بعد انقسام الزمن الى ماض وحاضر ومستقبل. فالكتاب يوضح ان الانسان في بداية الخلق لم يكن في حاجة الى ذاكرة، وكأنه كان يعيش في بعد لم يدخل عليه عنصر الزمن بعد، بل كان يلتمس فيه المعرفة مباشرة. لكن مع تجسده في المادة، وُجد مفهوم السرعة، ودخل عنصر الزمن على الحياة، ولم يبق في استطاعة الانسان الاتصال على نحو دائم بمقر المعرفة فكانت الحاجة الى الذاكرة.

يوضح الكتاب انه "رغم ان ذاكرة وعي الظاهر مقدرة ذهنية وبُعد مادي وارضي بالتحديد، الا انها تعتبر الدرجة الاولى في سلم المعرفة... فهي اشبه بنافذة صغيرة يطل منها المرء على مكنون العالم الداخلي في كيانه" مُقدما المستلزمات الضرورية لتطوير الذاكرة ومع مجموعة تمارين تطبيقية لتفتيح قدراتها وتقوية ملكة التركيز هذه، كي لا تشيخ (الذاكرة) مع التقدم في العمر. ويشرح الكتاب ان اسباب التفاوت في مقدرات الذاكرة عائدة الى العناصر الآتية:

١. قوة التركيز الذهني والانتباه.
٢. الاعتناء بالذاكرة والاهتمام بتطويرها.
٣. درجة الوعي المكتسبة في خبرات الانسان على الارض.

نلاحظ ان تلك الاسباب عائدة كليا الى ارادة الانسان في الجهد والاكتساب وليس الى عامل الحظ. بذلك يبرز السؤال الذي لطالما شغل البال: "هل الطاقات او المقدرات الماجعة في الانسان وجدت لتكتشف وتختبر فاعليتها لغاية تحسين حياة صاحبها وتوسيع مداركه والارتقاء بوعيه... ام لتبقى غافلة كامنة وكأن لا وجود لها؟!

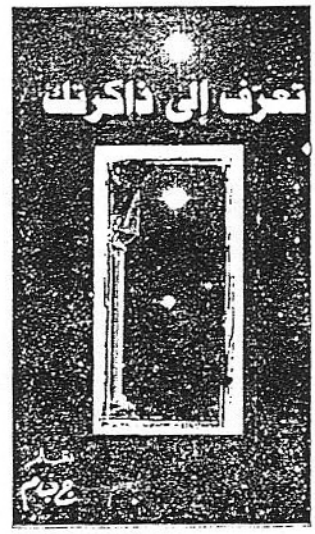

تفيد علوم الايزوتيريك بأن مقر الذاكرة في العقل – اي في الجسم الباطني العقلي الذبذبي التكوين، والذي يحيط بجسد الانسان. "والذاكرة تمدد ذبذباتها من الجسم العقلي الى الخلايا العصبية في الدماغ، مزودة اياها الطاقة الضرورية لاحتواء المعلومات التي يجري التعرف اليها، ووعيها، ومن ثم نقلها من تلك الخلايا العصبية الى القسم الخاص بالذاكرة في الجسم العقلي، وترسيخها هناك... اي حفظها في ذبذبات وعي وظيفتها الاحتفاظ بالمعلومات واستعادتها عبر الدماغ، او تذكرها حين تدعو الحاجة". والتركيز الذهني يكثف ويحض ذبذبات الجسم العقلي للبحث عن المعلومات، في سرعة تفوق سرعة الضوء، لذا يعتبر انه العامل الاهم لتفاوت قدرات الذاكرة لدى الانسان (او ضعفها في النسيان). وهو ينتمي الى نطاق وعي الظاهر، وهذا الاخير هو الذي يمنح زخما للمعول الذي ينكش تربة وعي الباطن.

لم يتعرف العلم المادي بعد الى الجهاز الذبذبي في الانسان، الذي يحوي المعلومات، بل بقي عند حدود تلك الخلايا المختصة بحفظ هذه المعلومات اثر انتقالها من العقل الى الدماغ، وهو ما جعل الاسرار الانسانية خافية عنه. ليت العلم يفور، بعدما ادرك اسرار الذرة، في الجوهر – اللب، اي الذبذبة محركة الذرة! وبما ان للذبذبة قدرة على احتواء ما يقع ضمن نطاق درجة تذبذبها، بات هناك بُعد يحتوي على سجل لما مر عليها مدى الزمن، وهو مخزون الذاكرة. حتى في المادة، لا يقتصر وجود بُعد الذاكرة في خلايا الدماغ. فقطرة مياه البحر تحتوي على قصة البحر في اكملها، ونقطة الدماء في الجسد سجل كامل لحياة هذا الجسد. لكن صعوبة الانسان في استقطاء المعلومات من المادة جعل بُعد الذاكرة هذا خافيا عليه.

يسترسل الكتاب موضحا ان للذاكرة انواعا عدة مترابطة بعضها ببعض. فلكل جهاز وعي في الانسان ذاكرته كما ان لحواس البصر والسمع والشم والذوق واللمس ذاكرة. وللفطرة في الانسان ذاكرة تحوي المعلومات الاولية التي تحضه على الحركة والاحاسيس، وهي تُشبه بالذاكرة الاولية (ROM) التي برمجت عند تجميع الكومبيوتر. اما الذاكرتان الاساسيتان لدى الانسان فهما الذاكرة المادية الظاهرية في الدماغ، والذاكرة الباطنية في الاجهزة الباطنية. ذاكرة وعي الظاهر، اي المقدرة الذهنية المادية، التي يدرك العلم بعض خفاياها، ليست سوى امتداد من ذاكرة وعي الباطن. محتوياتها عادية كالاسماء والعناوين والامور الحياتية المادية، وهي تتبخر بعد انقطاع الحياة من الجسد، تُشبه بالذاكرة العاملة (RAM) في الكومبيوتر التي تُمحى بعد انقطاع التيار الكهربائي. اما محتويات الذاكرة الباطنية المتعلقة بخبرات الانسان المتتالية على الارض فتبقى مخزنة في الاجسام الباطنية الذبذبية التكوين، من غير ان تضعف محتوياتها مع مرور الزمن، حتى بعد فناء الجسد. ومفتاح هذه الذاكرة الحكمة وفهرسها مراحل الوعي المكتسبة، وقد تُشبه بذاكرة التخزين (HARD DISK) في الكومبيوتر التي تسجل فيها خلاصة العمليات التي سجلت في الذاكرة العامة (RAM). يتكلم الكتاب ايضا عن الذاكرة الكونية او السجل الكوني الذي يحتفظ بتاريخ النظام الشمسي والحوادث الكونية واسرار الخليقة من بداية الخلق الى نهاية الوجود.

لا تصح المقارنة بين ذاكرة الانسان وذاكرة الكومبيوتر الا في سبيل التشبيه لتقريب المفاهيم، فذاكرة الكومبيوتر تحفظ بينما ذاكرة الانسان تعي. ومن اطلع على تركيبة الكومبيوتر يلاحظ ان الانسان ما كان ليخترع آلة كهذه لو لم يكن النموذج الاصلي ماجعا فيه بالقوة. فبات الاختراع خطوة اولية ليستوعب من خلالها الاصل، اي طاقاته الخاصة، ويوعيها في مرحلة لاحقة، متوسعا ومتخطيا حدود كل ذاكرة الى ما يليها "حتى تتفعل المعرفة بكامل فروعها!... ولعلنا بذلك نتحقق من قول افلاطون ان المعرفة تذكر".

زياد دكاش